## المؤاخاة بين المسلمين



ويقول ا□ تعالى في كتابه المجيد: (إ ِن َ سَمَا الهُمُؤهْم ِن ُون َ إ ِخوْو َ قُ فَأَ صُ لَ عَلْ وَ البَيهْنَ وَ أَ خَوَ ي ْكُ مُ و َات َ سَّقُوا اللَّ سَه َ ل َ عَلَ سَك ُ مُ ت رُ ر ْ حَ م ُون َ) (الحجرات / 10). منذ أن انطلق الإسلام في الدعوة الإسلامية العالمية التي أرسل ا□ تعالى رسوله بها ليظهره على الد ّ ِين كل ّه ولو كره المشركون، كان أول عمل قام به النبي ّ (صلى ا□ عليه وآله وسلم) في مكة وأكمله في المدينة هو المؤاخاة بين المسلمين. ذلك أن المسلمين عندما دخلوا في الإسلام كانوا أفرادا ً، قد لا تربط بينهم أية رابطة من النسب أو غيره، فأراد (صلى ا□ عليه وآله وسلم) من خلال وحي ا□ سبحانه أن يوجد رابطة عضوية بينهم، بحيث تكون أخو ّة أو رابطة الد " ِين كرابطة النسب، بل هي أكثر ترابطا ً، فهي أشبه بالرابطة التي تجمع أعضاء الجسد في الجسم الواحد.

وقد كانت التجربة الأولى أن آخى النبي "(صلى ا□ عليه وآله وسلم) في شكل مباشر بين المسلمين في مكة والذين هاجروا معه بعد ذلك، فقال لفلان إن أخاك هو فلان، بحيث عين لكل واحد منهم أخا ً في إطار الوحدة العام. وعندما هاجر النبي "(صلى ا□ عليه وآله وسلم) إلى المدينة، وهاجر معه فريق من المسلمين، أعاد النبي "(صلى ا□ عليه وآله وسلم) هذه التجربة، فأكد المؤاخاة بين المهاجرين أنفسهم، ثم ربط بين المهاجرين والأنصار الذين كانوا يقيمون في المدينة، فآخى بينهم على الحق "والمساواة، لتكون أخو "تهم على أساس الحق "الذي يلتزمونه، ليقوموا بالدعوة إليه ونصرته والدفاع

عنه وعن أهله، وأن يواسي كل " ُ واحد ٍ منهم أخاه في الإيمان، بحيث يشاركه ماله وحزنه وفرحه ومشاكله. وقيل إن " هذه المؤاخاة كان لها تأثيرها الكبير، وخصوصا ً أن المهاجرين عندما جاءوا إلى المدينة، تركوا كل ّ أموالهم في مكة وهربوا بدينهم، فكان الأنصاري الذي تآخى مع المهاجر يأتي إلى أخيه المهاجر، ليقول له: ما دمت أخي فلا يمكن أن تبقى فقيرا ً وأكون على هذا المستوى من الغنى، تعال أشاطرك مالي... وقد حد ّث ا □ تعالى عن هؤلاء فقال: (والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم ـ وهم الأنصار ـ يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة ـ مضايقة ـ مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح " نفسه فأولئك هم المفلحون).

وكانت هذه المؤاخاة تعتمد على قاعدة التوارث، فيرث الأخ المؤمن أخاه، كما يرث الأخ أخاه في النسب، وبقيت الحالُ كذلك حتى جاءت معركة بدر، فنزلت هذه الآية: (و َأُ وُلُو ا ْلأَ ر ْ حَامَ ِ بَع ْ ه ُ هُ مُ أَ و ْل َى بِبَع ْضِ ٍ فِي كَيتَابِ اللَّهِ) (الأنفال/ 75)، فنسخت ذاك الحكم، وأصبح الإرث مختصا ً بالأرحام في كلَّ طبقة، يتوارث أهل تلك الطبقة بعضهم بعضا ً، ولا ينتقل الإرث إلى الطبقة الثانية إلَّلا بعد أن لا يبقى أحد من الطبقة الأولى. هذه هي التجربة الواقعية العملية التي قام بها الرسول ا□ (صلى ا□ عليه وآله وسلم) في المؤاخاة تأكيدا ً لقوله تعالى: (إ ِن َ مَّا الْمُ وُ ْم ِن ُون َ إ ِخ ْو َة ٌ)؛ هذا المبدأ الإسلامي الشامل الذي يريد أن يقول للمؤمنين جميعاً: إن رابطة الإيمان هي أعظم من رابطة النسب، وعليكم أن تعيشوا هذه الأخوَّة فيما بينكم. وقد وردت بعض الأحاديث في بيان طبيعة هذه الأخوَّة، فعن رسول ا□ (صلى ا□ عليه وآله وسلم): «إن المؤمن ليسكن إلى المؤمن ـ يطمئن إليه، يستريح له وينفتح عليه ـ كما يسكن قلب الظمآن إلى الماء». ويقول (صلى ا□ عليه وآله وسلم): «المؤمنون أخوَّة تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم». وفي حديث عن الإمام عليّ (عليه السلام) وهو يخاطب صاحبه كميل: «يا كميل، المؤمنون أخوَّة، ولا شيء آثر عند كل أخ من أخيه». وعن الإمام الصادق (عليه السلام) يقول: «المؤمن أخو المؤمن، عينه ودليله، لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشه ولا يعده عدة فيخلفه». ويقول رسول ا□ (صلى ا□ عليه وآله وسلم): «النظر إلى الأخ تودَّه في ا□ عزَّوجلَّ عبادة»، وجاء عنه (صلى ا□ عليه وآله وسلم): «ما استفاد امرؤ مسلم فائدة ً بعد الإسلام كمثل أخ ٍ يستفيده في ا∐».

في الثاني عشر من شهر رمضان يصادف يوم المؤاخاة الذي عقد فيه رسول ا□ (صلى ا□ عليه وآله وسلم) المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ولذلك لابد ّلنا من أن نجعل هذا اليوم يوما ً نؤكد فيه هذه المؤاخاة على المستويين الخاص والعام، لأن ّ ذلك هو الذي يجعل المسلمين في رباط عضوي على مستوى الأُم ّة، بحيث يتحسس الإنسان المسلم آلام أخيه المؤمن ويحمل همه ويعيش مشاكله، حتى ينطلق المسلمون ليكونوا أُم ّة واحدة.

إنه يوم المؤاخاة، فلنتآخ، لأن المرحلة تفرض علينا أن نترك كل حساسياتنا وخلافاتنا، لنلتقي عند ا وسول ا وعند المسؤولية، لنعيش في ذلك اليوم أخوانا ً على سرر متقابلين، أخوانا ً يتحركون على أساس المحبّة التي عقدوها في قلوبهم، لننطلق إلى الجنّة والحب في قلوبنا، والحق ّ في عقولنا، والخير في حياتنا. هل تريدون أن تجاوروا والخير في حياتنا. هل تريدون أن تجاوروا ا أي في دار قدسه وأنتم على هذا الحال من البغض والعداوة والفتن والنزاع؟ «هيهات، لا يـُخدع ا عن حنّته».